أيها العرب...

نداء

من جمعية الوحدة العربية — اين هي ومن هم رجالها
ومن أين تنفق ؟

الى كل عربي

[القاهرة ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م]

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية
لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه

أيها العرب ...

تواجه الأمة العربيـة الآن مشاكلها الخاصة ، وهي خطيرة جداً ، يتوقف عليها كيانها ومستقبلها ، كما تواجه مشكلة العالم الـكبرى التي تقض مضاجع الشعوب في هـذه الأيام ، وتنذر البشرية بعظائم الأمور . وكلٌّ من هذه المشاكل الخطيرة ، الخاصة منها والعامة ، تتطلب مواجهته من القوة والصلابة ، ومتانة الخلق ، واتحاد الـكلمة ، والصبر على المكاره ، والتضحية في سبيل مصلحة الوطن ، مالا يتيسر وجوده في كثير من الأمم ، وخصوصاً في أمتنا العربيـة ، التي لم تحطم قيود الاستعمار إلا من مدة قصيرة جداً ، ولم تتمتع بنعمة الحرية والاستقلال إلا في بعض أقطارها ، دون البعض الآخر .

***

ففي هذه الساعات العصيبة التي تتلاعب فيها يد القدر بمصائر الأمم ، ويبـدو شبح الحرب الهائل بأفظع أشكاله في كل مكان ، ويسود العالم كله ذعر ورعب ، رأى رجال الوحدة العربيـة ، مع فريق من إخوانهم وأصدقائهم الوطنيين ، في مختلف الأقطار العربية ، إن مواطن الضعف التي ظهرت في أمتهم إبان المحنة الأخيرة ، يخشى أن تتسع وتزداد إذا وقعت محنة أشد ، فقرروا فيما بينهم أن يدقوا ناقوس الخطر في هذه الأمة ، ويوجهوا إليها الإنذار تلو الإنذار ، مناشدين رجال الرعيل الأول فيها ، والطبقة المثقفة من شيوخها وشبانها ، وكل وطني من أبنائها ، أن يتنادوا للأخذ بناصرها ، ويتعاونوا على تهيئتها لمواجهة الأحـداث الخطيرة المقبلة ، التي لا تستطيع الأمم أن تصمد لها ، إلا إذا تذرعت بقوة الخلق ، وصلابة العقيدة ، وصدق العزيمة والإيمان الصحيح بالحق ، والتفاني في سبيل مصلحة الوطن ، إلى غير ذلك من الصفات التي تسمو بأقدار الأمم وتؤهلها للسير في طريق المجد والخلود .

***

ونعرف بالتجربة ، نحن أبناء هذا الجيل ، أن مناشدة الوطنيين التعاون والعمل عند اشتداد الخطوب ، كانت ولا تزال الوسـيلة الوحيدة التي تلجأ إليها الأمم للخلاص والنجاة ، بدليل ما رأيناه في مصر أيام مصطفى كامل وسعد زغلول ، وفي سوريا والعراق بعد إنشاء المنتدى الأدبي في اسطنبول ، وتأليف جمعيتي الفتاة والعهد ، وفي المغرب حينما قام عبد الـكريم أمير المجاهدين قومته المعروفة .

على أن المستعمرين حاولوا القضاء على هـذه النهضات القومية كلها ، بتقسيم الوطن العربى بينهم ، وإخماد كل صوت يرتفع فيهم . ولـكنهم رأوا أن هذا التقسيم لم يحل دون تعاون العرب وتوحيد خططهم وأهـدافهم العليا ، ضمن نطاق الجامعة العربية ، فشق عليهم ذلك ، ووضعوا خطة جديدة لتمزيق الأمة والقضاء على كيانها ، بالـكيد لجامعتها ، وبذر بذور التفرقة والفساد بين شعوبها ، وإقامة دولة يهودية فى فلسطين لفصل الأقطار العربيـة بعضها عن بعض ، والعمل على إفساد أمورها ، ومحاولة التوسع المستمر على حسابهـا ، وإشاعة القلق الدائم فى نفوس أبنائها جميعاً من جراء قيام هـذه الدولة المعتدية فى قلب بلادهم .

***

هـذه هى الحالة فى الشرق الأدنى ، وهى فى العالم كله أسوأ وأشد . فقد بلغت الأزمة الدولية الآن أفظع أدوارها ، وانقسمت الشعوب كلها إلى معسكرين متطاحنين ينـذر اصطدامهما البشرية بالزوال . ونحن فى وسط هذين المعسكرين لا قوة لنا ولا شأن ، يحاول كل منهما جرّنا إلى حرب فناء لا قبل لنا بها ولا ناقة لنا فيها . فـكيفما أجلنا الطرف نجد المستقبل مظلماً أمامنا ، ينطوى على أخطار عظيمة تهددنا نحن ، وأخطار أعظم تهدد الأمم جمعاء ، قويها وضعيفها ، قاصيها ودانيها ، ونحن فى المقدمة . وكما أننا لا نستطيع درء هذه الأخطار عنا ، كذلك لا أمل لنا فى محاولة درئها عن العالم . ولـكن علينا واجبات يجب أن نقوم بها على كل حال ، وهى واجبات كل أمة حية تكتنفها المخاطر . وتريد أن تحيا حياة عزيزة أو أن تموت مرفوعة الرأس موفورة الـكرامة .

***

وتتلخص هـذه الواجبات فيما يتنادى به رجال الأمة العربية الآن ، وهو أن يبدأ كل منهم بتقويم خلقه ، وتطهير نفسه من مختلف الأدران التى علقت بها ، وأن يتحلى بصفات الوطنى الحقيقى ، فيقدم بلا تردد ، حين الحاجة ، على التضحية بكل شىء فى سبيل الوطن ، ويتناسى أحقاده وشهواته ، ويضع يده بيد أخيه ، ويصقل إرادته ، ويشحذ عزيمته ، وينقى ضميره ، ويستهين بالموت فى سبيل العزة القوميـة والـكرامة الوطنية ، فلا تلين له قناة ولا يعرف الخوف والذعر إلى قلبه سبيلا ؛ جاعلا خدمة الوطن فوق كل شىء وباذلا كل شىء فى سبيل مصلحة الوطن التى هى مصلحة أبنائه جميعاً .

هذه هى واجبات كل وطنى يرى الخطر محدقاً ببلاده ، وهذا ما يتطلبه الوطن الآن من جميع أبنائه ، وهو قسط ضئيل مما يدينون له به ، مستحق الأداء فى اللحظة التى يطلب فيها :

فللأوطان فى دم كل حر   يد سلفت ودين مستحق

وما من فرق بين وطنى ووطنى فى أداء هذه الواجبات ، لأن الأخطار المحدقة بالوطن محدقة بجميع سكانه على حد سواء ، ولأنهم جميعاً ملزمون بالمحافظة على سلامته وعزته وكرامته ، دفاعاً عن سلامتهم وسلامة أبنائهم وعن عزة الأجيال المقبلة وكرامتها . ولا نرى هنا بداً من الإشارة إلى الفشل الذى منيت الأمة العربية به ، فى قضية فلسطين ، فنحن نعتقد أن تبعته تقع علينا جميعاً أفراداً وهيئات وحكومات ، لأننا لم ندرك أهميته ، ولم نحاول درءه ، كما تحاول الأمم الحيـة ، أو كما يحاول المجاهدون الوطنيون ، على الأقل ، درء المصائب التى تستهدف لها بلادهم ، بل قابلنا حرب فلسطين ، وهى حرب حياة أو ممات لنا ، مقابلتنا لحرب بعيدة عنا لا يعنينا من أمرها شىء ، فلم يقم أحـد منا بواجبه فيها غير الشهداء والأبطال ، رحم الله من مات منهم وحفظ للأمة حياة الباقين .

***

على أن هذا الفشل الذى لا تستحقه الأمة العربية ولا يجوز أن يسجل عليها، إنما هو فشل طارئ . وغير طبيعى، تصاب به الأمم أحياناً، ويكون وسيلة لإيقاظها من رقادها، وشحذ همتها، واستئناف جهادها لاسترداد عزها ومجدها .

ونحن موقنون بأن فلسطين ستكون فى المستقبل كما كانت فى الماضى ، وسيلة لتوحيد الأمة العربية وتحقيق آمالها ، وحافزاً لها على إتمام رسالتها السامية فى الحياة ، رسالة الحضارة والسلام

***

ولا تخلو الأمة العربية الآن من رجال ذوى أهداف وطنية واحدة وإيمان راسخ بالمستقبل يستأنفون جهاد مصطفى كامل وسعد زغلول فى مصر ، ورجال الرعيل الأول وغيرهم من قادة النهضة العربية فى الشام والعراق والمغرب لخلق جيل جديد متين الخلق عالى الهمة صادق الوطنية صحيح البنية صبار على المكاره، مقدام شجاع ، يعرف واجبه كله نحو وطنه، ولا يتردد لحظة فى القيام به كاملا ، وتكوين أمة عربية موحدة تتوفر فيها جميع مقومات الأمم الحية لتتبوأ المكانة الجديرة بها فى العالم . فعلى جميع هؤلاء الرجال أن يحزموا أمرهم ويشحذوا هممهم ويعملوا بمـا تتطلبه خطورة الموقف من جد وسرعة، على تهيئة أمتهم لمواجهة احتمالات المستقبل وتطوراته ، وتوجيهها إلى الأهـداف الوطنية والأخـلاق القومية وبث القوة المعنوية ، وروح التضحية فى نفوسها ، ومكافحة التشاؤم والخوف والجبن فى جميع طبقاتها ؛ بالمثل الصالح أولا ، ثم بكل وسيلة من وسائل الاتصال بالرأى العام .

***

ومما لا شك فيه أن الحكومات العربية التى تنظر الآن إلى أحوال العالم بعين القلق والحذر ستقابل بكل عطف هذا العمل الجليل وترعاه وتؤيده ، لأن فيه مصلحتها ومصلحة شعوبها ، ولأنه الوسيلة الوحيدة التى تمكنها من مواجهة المستقبل بعزيمة صادقة ، وجأش رابط ، وقلب مطمئن ، وإرادة قوية مستمدة من إرادة الأمة التى لا تقهر .

وأملنا وطيد بأن هذا التنادى بين رجال الوطن شيوخاً وشباناً سيكون له صدى عظيم ، تردده الأقطار العربية جمعاء فى المجالس والأندية والصحافة ودور العلم وغيرها ، بحيث لا يمضى عليه وقت طويل حتى تكون الأمة كلها ، بجميع طبقاتها ، قد أدركت حقيقة موقفها ، وشعرت شعوراً صادقاً بواجباتها ، وتذرعت بالوسائل الفعالة اللازمة للقيام بهذه الواجبات على أحسن ما يطلب منها .

***

فإلى الأمام يا رجال العرب ، إن الوطن يدعوكم إلى نصرته فى أعظم محنة عرفها فى تاريخه ، والأجيال المقبلة تناشدكم أن تهيئوا لها حياة طيبة ، ولا تلقوا بها بين براثن الظلم والذل والعار ، والتاريخ واقف لكم بالمرصاد ، ينظر إليكم ويبارك جهودكم . فإلى الأمام . .